بحث الحرية

الدرس الأول	فلسفة الحرية
الدرس الثاني	الحرية الداخلية
الدرس الثالث	الحرية والمجتمع
الدرس الرابع	تحليل نص كانط

ماهر صالح تربية دمشق

فلسفة الحرية

مفهوم الحُريَّة في الفلسفة اليونانية:	لدى السفسطائية –لدى سقراط –لدى أفلاطون –لدى أرسطو
مفهوم الحُريَّة في فلسفة العصر الوسيط:	الحُريَّة عند القدِّيس أوغسطين - الحُريَّة عند المعتزلة - الحُريَّة عند ابن باجة:
الحُريَّة في الفلسفة الحديثة:	الحُريَّة عند جوردانو برونو - الحُريَّة عند هيغل الحُريَّة عند ماركس

- **أولاً- مفهوم الحُريَّة في الفلسفة اليونانية:**

- **الحُريَّة عند السفسطائيين:**

- أكَّد السفسطائيون عموماً فكرة الفرديَّة، وعدّوها المجال الذي تتحقّق من خلاله شخصيّة الإنسان، الذي يقول عنه بروتاغوراس : إنَّه مقياس كلّ شيء، وعلى هذا الأساس نزعَ السفسطائيون نزعةً إنسانيَّةً تُعطي الأولويّة للإنسان على سائر الموجودات الأخرى، وانطلاقاً منها وضعوا تفرقةً أساسيَّةً بين "الطبيعة" و"القانون"؛ إلا أنَّهم انقسموا في تحديد معنى هذه التفرقة إلى اتجاهين:**الاتّجاه الأوّل: يمثّله بروتاغوراس** الذي رأى أنّ الإنسانيّة انتقلت من الحالة الطبيعيَّة البدائية إلى الحضارة عن طريق القوانين التي نظَّمت حياة البشر عبر العصور في المجالات كافةً، ذلك لأنَّ القانون يكبح جماح الحُريَّة الفرديَّة في شكلها البدائيّ، ويجعل الإنسان ملزماً في سلوكه بما يتفق مع معايير العقل، لأنّ الالتزام بها والخضوع لها يضمنان مصلحة المجتمع وأمنه.

- **الاتجاه الثاني: يمثّله هبياس** الذي يعتقد أنَّه ينبغي أن يتفق سلوكُ الإنسان مع تلقائيّته الفطريّة التي منحته إياها الطبيعة، أمّا القانون فهو قيد يحول بين الإنسان وحريتّه، لأنَّه من وضع أشخاص يبتغون منه سلب الأقوياء حريّاتهم من أجل مساواتهم بالضعفاء.

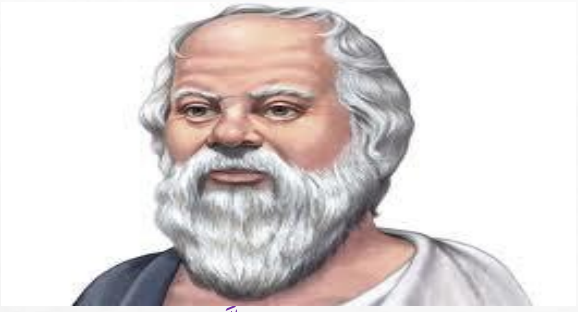

- **ثانياً- الحُريَّة عند سقراط:**
- فهمَ سقراط الحُريَّة فهماً أخلاقيّاً، فحدَّدها بأنَّها **"فعل الأفضل"**، لذلك تتحقَّق حريّة الإنسان عندما يقوم بتنفيذ الأفضل من بين مجموعة الأفعال المتاحة له؛ لكن ليس بوسع الإنسان أن يكون حرّاً (أي أن يفعل **"الأفضل"**)، إذا لم يُكن يمتلك معرفة واضحةً بما هو أفضل، لذلك كانت المعرفة في نظر سقراط **"فضيلةً"** أي **"خيراً"**، ومَنْ يَعْرفُ الخير لا بدَّ أن يفعلهُ، إذ لا يوجد شيء آخر أفضل منه، فهو أسمى الغايات التي إذا بلغها الإنسان تحققت حريتّه الحقيقيّة.
- أمّا الشر والرذيلة فإنّ الإنسان لا يفعلهما مختاراً، وإنما بسبب الجهل، فالجهل هو الذي ينفي إمكان اختيار الأفضل، ما يعني انتفاء الحُريَّة.

ثالثاً - الحُريَّة عند أفلاطون: ارتبط مفهوم الحُريَّة عند أفلاطون بالحُريَّة المدنيّة التي يلتزم فيها كلّ فرد بعمله المخصّص له في المدينة، فوزّع المواطنين في المجتمع ثلاث فئات، ومنحهم حريّاتٍ متفاوتةٍ تتناسب مع طبيعتهم البشريّة، وذلك على النحو الآتي: فئة الحرفيّين والمزارعين: تشمل هذه الطبقة غالبية أفراد المجتمع، وينحصر عملهم في مزاولة المهن المرتبطة بالعمل الجسديّ، لكنّهم غير قادرين بحسب طبيعتهم على مزاولة العمل الفكريّ أو العسكريّ، ويتمتّع أفراد هذه الطبقة بالحُريَّة الاقتصاديّة وحريّة التملّك، لكنّهم ممنوعون من ممارسة الحُريَّة السياسيّة والمشاركة في الشؤون العامة.

- فئة الجنود والمحاربين: تشمل هذه الطبقة الأفراد الذين يتصفون بالشجاعة والقوة البدنية، وينحصر عملهم في الدفاع عن الدولة وشنّ الحرب على الدول الأخرى، ولا يتمتّعون بحريّة التملك أو مزاولة المهن، كذلك لا يتمتّعون بالحُريَّة السياسيّة والمشاركة في الشؤون العامة.
- فئة الحكّام: تضمّ هذه الطبقة فئةً قليلة من المواطنين تتكّون من الفلاسفة والحكماء، ويتحدّد عملها في ممارسة الشؤون العامة للدولة، فيشرفون على سنّ التشريعات ووضع القوانين وتنفيذها، ويتمتّعون بالحُريَّة السياسية الكاملة، لكنّهم لا يتمتّعون بحرية التملّك ومزاولة الأعمال الاقتصاديّة الخاصة.

- لم يؤمن أفلاطون بالحُريَّة المطلقة، ولا بالمساواة في ممارسة الحُريَّة، فأعطى كلّ فئة الحريّات التي تناسبها بحسب رأيه، ومنعها من حريّة ممارسة أعمال طبقة أخرى، لكنّه أكّد في المقابل أن تُمارس جميع الحريّات في ظلّ دستور الدولة وبحسب قوانينها.
- كذلك فرض أفلاطون قيوداً شديدة على الشعراء والفنّانين والموسيقيّين، فمنعهم من مزاولة فنونهم بحريّة مطلقة، إذ يجب أن تخضع للشروط والقوانين التي يسنّها الحكّام والمربون في الدولة برأيه لكي تسهم في تحقيق العدالة التي تعني عند أفلاطون التزام كلّ فرد بفئته وإتقان عمله الذي خُصّص له.

رابعاً ـ الحُريَّة عند أرسطو:

- يتفق أرسطو مع أفلاطون في أنّ الحُريَّة لا تتحقّق إلا في المجتمع المنظّم والخاضع للدستور والقانون، ولكّنه لم يتبّع التقسيم الأفلاطونيّ لفئات المجتمع، ولم يُحدّد مجالات الحُريَّة بين المواطنين المتساوين في الحقوق والمسؤوليّات.
- **والإنسان الحرّ عند أرسطو** هو المواطن القادر على أن يختار بين الأفعال الممكنة فعلاً إرادّياً غير ناجم عن قسر خارجيّ، ويكون اختياره للفعل بناءً على معرفة عقليّة واضحة به، وقد اتخذت الحُريَّة عنده شكلين اثنين، هما:
- **حريّة الأفراد** في اختيار حياتهم وعيشها كما يحبّون، من دون أن تتدخل الدولة في تحديد عملهم أو شكل حياتهم.
- **حريّة المواطنين** في المشاركة في المناصب العامّة في الدولة، وفي وضع الدستور والقانون عبر الحوار والتعبير عن الرأي والتشاور العام.
- ويتّضح أنّ أفلاطون وأرسطو قد ركّزا على الفهم السياسيّ للحريّة، وناقشاها ضمن إطار التطبيق العمليّ وتنظيم المشاركة في الشؤون العامة في الدولة

- **ثانياً- مفهوم الحُريَّة في فلسفة العصر الوسيط:**
- الحُريَّة عند القدِّيس أوغسطين:
- عالج القدِّيس أوغسطين مسألة الحُريَّة من خلال تحليله حريَّةَ الإرادة الإنسانيّة، وعَرَّفها بأنَّها "القدرة على قبولِ تصوُّرٍ ما أو رفضهِ"، وهذا يعني أنَّه عندما تحضر في ذهن الإنسان فكرةٌ معيَّنةٌ تحثُّهُ على القيام بتصرُّفٍ ما، فإنَّ بإمكانهِ من حيث هو حرُّ الإرادةِ أن يقبلها فيعمل بمقتضاها أو يرفضها فلا يطّبقها عمليّاً.
- ولا يسلِّم بأنَّ الحُريَّة قدرةٌ على الاختيار بين الخير والشر؛ لأنَّ الإنسان عندما يختار فعل الشر، فهذا دليل على نقص في تفكيره وليس دليلاً على حريتّه، وأهمّ ما يثبت وجود الحُريَّة هو شعور الإنسان بأنَّه يمتلك إرادة توجّهه إلى أن يريد أو ألا يريد.

- **ثانياً - الحُريَّة عند المعتزلة:**
- **ذهبت المعتزلة إلى أنّ الحُريَّة مسؤوليّة الإنسان عن اختيار أفعاله التي سوف يُحاسب عليها أمام الله، ولأن الله عادلٌ فإنّه يعاقب المخطئ على خطئه، ويكافئ المصيب على صوابه، ولو لم يكن الإنسان حرّاً لما عاقبه الله أو كافأه، لذلك أنكرت المعتزلة أن يكون الإنسان مجبراً على أفعاله، بل هو حرّ في القيام بالفعل أو الإحجام عنه، أمّا معرفة الصواب من الخطأ فتكون بوساطة العقل الذي منحه الله إياه، وبه فضّله على غيره من الكائنات.**

- **الحُريَّة عند ابن باجة:**
- انطلق ابن باجة في تأكيده الحريّة الإنسانيّة من أنّ
- الإنسان يمتاز من جميع الكائنات بالقوة الفكريَّة أي العقل
- ، ولولا العقل لما كان الإنسان حُراً، فالمعرفة العقلية هي أساس الشعور بالحُريَّة، والقيام بالأفعال الدالة عليها، ووضَّحَ ذلك من خلال تقسيمه الأفعال ثلاثة أصناف:
- أفعال قسريَّة لا اختيار للإنسان فيها مثل السقوط من مكان مرتفع، والاحتراق بالنار . إلخ.
- أفعال ضروريّة لا اختيار للإنسان فيها بتاتاً، لأنّها من أصل طبيعته كالإبصار والتذوّق، أي الإحساس عموماً.
- أفعال اختياريَّة يقوم بها الإنسان عن إرادة واعية، وهذه الأفعال هي التي تميّزه بوصفه كائناً عاقلاً، كذلك هي التي تدلّ على حريّته؛ لأنَّه يقوم بها فاعلاً مختاراً.

- **ثالثاً- الحُريَّة في الفلسفة الحديثة:**
- **الحُريَّة عند جوردانو برونو:**
- **رفض برونو كلَّ الآراءِ التي تقيّد حريّة الإنسانِ، وأراد تحريره من أيّةِ سلطة تسلبه حقَّه في التفكير، وكانت وسيلته في ذلك هي تبيان أهميّة فهم الإنسان للكون وموقعه فيه، من أجل تحقيق شعوره بحريته، وهذا يكون عن طريق إثبات لا نهائيّة طبيعة الكون المؤلَّف من دروب ومجرَّات فلكّية لا حصر لها، والإنسان نفسه يجب أن يُفهم على أنَّه جزء من هذه الطبيعة ذاتها لا ينفصل عنها، لذلك عندما يكتشف الإنسان غنى الكون وتنوُّعَهُ، فإنّه في الحقيقة يكتشف حريتّه المستمدّة من لا نهائية الكون، لأنَّه هو نفسه جزء من هذه اللانهائية التي تُحَفِّزُ لديه الشعور بالحُريَّة.**

- **الحُريَّة عند هيغل:**
- اعتقد هيغل أنّ النفس (أو الروح) لا تحصل على حريتّها دفعةً واحدة
- وبشكل مباشر، بل عبر مراحل طويلةٍ يعبّر عنها تطوّر العقل في التاريخ،
- حتى تصل الروح إلى إدراك هويّتها والشعور بوحدتها، وشعور الروح بوحدتها هو ينبوع حريّتها.
- وتتسم الذات الإنسانيّة بوحدتها واستقلاليّتها عبر العقل والإرادة، غير أن هذه الاستقلالية ليست مطلقة، لأن الإنسان يعيش في الواقع مع أفراد آخرين يمثّل كلٌّ منهم ذاتاً مستقلّة متفردة، فتنشأ بينهم جميعاً منظومةٌ من الحقوق والواجبات التي تشكّل الأخلاق الموضوعيّة في المجتمع.
- ولكي يقوم الإنسان بضبط فردانيتّه ومنفعته الأنانية، لا بد من وجود الدولة التي يعدّها هيغل الكائن الاجتماعيّ الأكبر، فالدولة هي التي تفرض القانون، وفيها يستطيع الإنسان الوصول إلى حرّيته الحقيقية عبر المشاركة في الروح الجماعيّة التي تمثّلها الدولة.

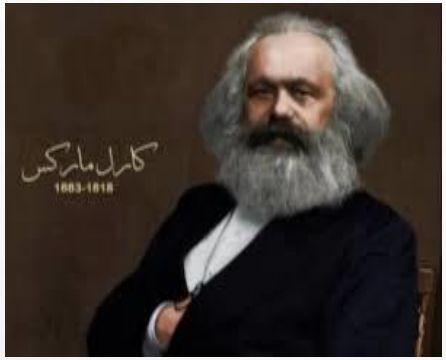

- **الحُريَّة عند ماركس:**
- يبيّن ماركس معنى الحُريَّة على أساس علاقتها بالضرورة،
- ويعني بالضرورة القوانين غير المدركة التي تتحكّم بالطبيعة
- والمجتمع، ففي بداية تاريخ الإنسان كان غير قادر على فهم أسرار الطبيعة، لذلك ظلَّ أسير الضرورة المجهولة، وكان لا يشعر بحريتّه، لاعتقاده بأنَّه خاضع لقوى عمياء، لكن كلما ازداد الإنسان تطوُّراً استطاع أن يدرك الضرورة على أنّها قوانين موضوعيَّة تتحكم بالظواهر الطبيعية والاجتماعية، ومن ثمّ ازداد حُريَّةً ووعياً.
- من هنا دعا ماركس إلى عدم رضوخ الإنسان لقوى الطبيعة الخفيّة، أو القوى الاجتماعية المفروضة عليه قسراً، وذلك من أجل بلوغ حرّيته، عبر الوعي الذي يزيل الفروق الطبقية بين الناس ويحرّرهم من القهر الاجتماعيّ، وعليه، الحُريَّة عند ماركس تعني وعي الضرورة طبيعيّاً واجتماعيّاً.

الحُريَّة الدَّاخليَّة
(العقل والإرادة والوجدان)

- معنى العقل وعلاقته بالحرية
- الحدود العقلية للحرية الإنسانية
- معنى الإرادة وإمكانية تحكم الإنسان بها
- الحرية الداخلية وعلاقتها بالحلة الوجدانية

تعريف الوجدان و وظيفتة	
الوعي الوجداني بالحرية	
الحالة الوجدانية	- المزاج - العاطفة - الرغبة

الحرية الداخلية

- معنى العقل وعلاقته بالحرية :

1- العقل له معاني متعددة الحجى لإصابة الحجة به _ والحجر لحجره عن ركوب المناهي _ والنهى لانتهاء الذكاء والمعرفة إليه

واصطلاحاً مجموع الوظائف النفسية والذهنية المتعلقة بتحصيل المعرفة كالإدراك والتفكير ويقسم إلى

أ- عقل نظري : ينصب على المعرفة في أوسع معانيها يحصل المعرفة النظرية من خلال الاتصال بين الذات والموضوع

ب- عقل عملي : يتناول الأخلاق والجمال من جانبها القيمي ويميز الإنسان الخير من الشر والجميل كمن القبيح والأفضل تكامل النظري مع العملي وهو مايميز الإنسان الذي ارتقى من الحالة الغريزية للحضارية

الحرية بين الضرورة العقلية والضرورة الطبيعية :

أ – الضرورة الطبيعية : سلوك الإنسان بما تقتضيه طبيعته وحدها ولا يستطيع أن يكون خلاف لذلك كما هو لدى الحيوانات لا يستطيع مقاومة غرائزة وحاجاته الحيوانات محكومة لطبيعتها ولا تتصف أفعالها بالحرية أو الإجبار لأنها ممارسة طبيعية تفتقد إلى أي أساس عقلي

ب – الضرورة العقلية : تتضح من خلال التزام الإنسان بالأفعال والتصرفات التي تتحدد بمقتضى العقل وإلا خرج من حيز الإنسانية للحيوانية بالعقل يتحكم بأفعاله بما يتناسب مع معايير السلوك وهذا لا يتناقض مع الحرية الإنسانية بل يؤكد الأساس العقلي لها

ثانياً- الحدود العقلية للحُريَّة الإنسانيَّة:

يدرك الإنسان أنَّه حُرٌّ داخلياً ، ولا يقبلُ أن تُملى عليه تصرُّفاته من أيّ مصدرٍ خارجيّ من دونِ قناعةٍ منه، لأنَّه يعي حُريتّهُ، ويشعُر بها، ويمارسها من خلال تنفيذه أفعاله الدَّالة عليها، وتتعزَّزُ حُريتّه الذاتيَّة كلَّما وجد مجالاتٍ أوسع لتحقيقها.

لكنّ الحريَّة لا تكون بحسب الهوى، ولا أن يفعل كُلُّ إنسان كما يشتهي أو يرغب، فمثلاً إذا أطلق شخصٌ ما سواءٌ أكان رجلاً أم امرأة العنان لحريتّه الجنسيّة من دون أيّ رادعٍ أخلاقيّ، فإنَّ هذا سوف يؤدّي إلى إفساد المجتمع وتهديم قيمهِ والإضرار به، لذلك يجب ألا تكونَ غرائز الإنسان واندفاعاته هي ما يوجّهه للقيام بأفعاله من دون قيد أو شرط، بل ينبغي عليه أن يضع حدوداً لحرّيته، لأنّ العقل يستلزم منه الوعي والمسؤولية في كلّ ما يفعل.

وعلى هذا الأساس، لا يجوز لأيّ إنسان أن يبيح لنفسه كلَّ شيء بحجّة أنّ من حقّه أن يفعل ما يشاءَ، ويقول ما يرغب فيه، ويبدي من الآراء ما يحلو له باسم الحريّة، فلا توجد حريّة مطلقة، لأنّ السلوك الإنسانيّ يجب أن يبقى مقيّداً بمعايير العقل ونظام المجتمع وحقوق الآخرين؛ لذلك على الإنسان أن يُخضِعَ حرّيته لقوّة إرادته وفقاً لإرشادات العقل.

ثالثاً- معنى الإرادة وإمكان تحكُّم الإنسان بها:

1- تعريف الإرادة: هي نزوع النفس وميلها إلى الفعل، بحيث يحملها عليه، وهي قوّة مركّبة من الرغبة والحاجة والوعي، وتختلف الإرادة عن الاختيار بأنها ميل إلى الفعل، أمّا الاختيار فهو فعل مع التفضيل والإمكان.

- الفعل الإرادّي: يتّضح الفعل الإرادي من خلال ما يقوم به الإنسان من العمليّات العقليّة والنفسيَّة الآتية: أ - أن يَقْدِرَ الإنسان على تصوّر الفعل الذي يعزم على القيام به، بأن يدرك بصورة مسبقة كيفية تحقيقه.

ب - أن يتخذ قراراً داخليّاً مؤقّتاً بأنَّه يميل إلى إنجاز هذا الفعل، وكون القرار مؤقتاً يعود إلى أن الإنسان لا بدّ أن يمرّ بمرحلة من التفكير بجدوى قيامه بالفعل. ج - أن يبحث في الأسباب التي تدعوه إلى إنجاز الفعل، وفي الأسباب التي تدعوه لعدم إنجازه، ويفاضل بينهما بشكل دقيق.

د - أن ينتهي إلى الاقتناع بتنفيذ الفعل أو عدم تنفيذه، ممتلكاً التصميم الحقيقيّ على ما انتهى إليه.

3 – توجيه العقل لحريَّة الإرادة الإنسانية:

تتحقّق ذاتُ الإنسان من خلال قدرته على الفعل بمقتضى العقل وحده، من دون تأثُّر بالنزوات والشهوات والرغبات الأنانية، وهذا يعني أنَّه ينبغي على الإنسان عندما يقوم بأفعاله، أن يضعَ لنفسه قانوناً أخلاقّياً يلتزم به، بحيث يكونُ في صالح الناس جميعاً، فيصبح الإنسان بذلك قُدوةً لغيره، وتكون حرّيته نتاج الارتباط بين إرادته الحرة وقانونه الأخلاقيّ الذي يفرضه العقل.

ويُلاحَظ أنَّ هذا القانون الأخلاقي ليس مفروضاً على الإرادة من خارجها، بل صادرٌ عن الإرادة نفسها عندما تصبح واعية نتيجة توجيه العقل لها، وعندما يقدم الجنديّ الشجاع في المعركة على التضحية بحياته في سبيل وطنه، ولا يذعن لمشاعره الأنانية، فإنه يعبَّر عن إرادته الحرة، جاعلاً تصرّفه هذا قاعدةً عامّة لكلّ رفاقه، لأنَّه لم يفعل ذلك مرغماً أو مكرهاً، لكن بناءً على قناعة ذاتيَّة شرّعها له عقله، هي (التضحية في سبيل الوطن).

رابعاً- الحرّية الداخليّة وعلاقتها بالحالات الوجدانيّة:

- تعريف الوجدان ووظيفته: يعرّف الوجدان بأنهُ قوَّةٌ باطنةٌ في الإنسان تُمكِّنه من أن يَحْدَسَ بصورةٍ داخليَّةٍ المضامين المختلفة لحالاته النفسّيَةِ الإنسانُ بفعل الوجْدان يعي حالاته الشعوريَّةَ الداخليَّة، التي لا يمكن له إدراكُها عبر الحواس أو التفكير العقليّ أو التجارب العلميّة، لأنَّ هذه الحالات عبارة عن كيفيّات نفسيَّة ليس لها وجودٌ ماديّ، ولا تخضع للمقاييس الكميّة مثل الحجم والوزن. والوجدان هو الذي يمكّن الإنسان من أن يعي هذه الكيفيات؛ فالأمل مثلاً أو التضحية حالاتٌ وجدانية لا تدرك حسيّاً ولا تفهم منطقيّاً وغير قابلة لأيّ قياس كميّ.

الوعي الوجدانيّ بالحريّة:

يُعَدُّ وعيُ الإنسانِ الوجدانيُّ بحريتّه الداخلية من أهم مرتكزات وجوده، حيث يدرك أنَّه يمتلك ذاتاً مستقلة عن الذوات الأخرى، لها مشاعرها المتميّزة، وتدخل في تكوينها حالاتٌ شعوريَّةٌ مختلفة (انفعالات ، عواطف، رغبات...) تؤلّف وحدةً متكاملة. وكلما ازداد الإنسان وعياً بخصوصيّة وجوده الذاتيّ، عَرفَ أنَّه حُرٌّ من داخله حريّةً كاملة ودائمة، ولا يمكن لأية قوّة قاهرة أن تسلبه هذه الحريَّة.

وتظهر حرّية الإنسان الداخلّية من خلال حالات شعوريّة وجدانيّة متنوِّعة، لذلك فهو حرٌّ في أن يرغب بشيء، وينفر من شيء آخر، من دون أن يلزمه أحدٌ بذلك.

- وتُعَدُّ الحالاتُ الوجدانيةُ أساساً لقدرة الإنسان على القيام بأفعاله الحرّة وتنظيمها، لأنَّ فقدان شعوره بهذه الحالات سوف يسلبه وعيه حريته، بالمقابل فإنّ عدم سيطرته عليها يؤّدي إلى أن تصبح حريته هوجاء لا تخضع لأيّة حدود أو ضوابط. الحالات الوجدانيّة:

المزَاجُ:

- جُمل السِّماتِ العامةِ، التي يتميَّزُ بها التكوينُ العضويُّ والنفسيُّ للفرد، ومن أشكاله المنبسطُ والمنطوي والسوداويُّةُ والتفاؤليُّ.
ولهذه السِّمات نفسها أهميَّةٌ كُبرى في تحديد طبيعة انفعالات الفرد وشدّتها، سواء من جهةِ كون الإنسان قليل الانفعالات أو كثيرها، أو من جهة طولِ مُدَّة التأثُّر الانفعالي أو قصَرِها؛ لذلك تتأثّر الحريّة الداخليّة للإنسان وتتحدَّدُ وفقاً لطبيعته المزاجيَّة، التي تؤثّر في سلوكاته ومواقفه الحياتيّة.

العاطفة:

- **العاطفة هي** تهيّؤ الإنسان شُعورياً للتفاعل مع تجربة وِجْدَانيَّة خاصَّة، بحيث يسلك سلوكاً مُعيَّناً، تجاه شخص أو جماعة أو مبدأ أخلاقيّ أو فكرة مُجرَّدة. وقد تبقى العاطفة مُستقرّةً داخِلَ شُعورِ الإنسان من دون أن تتحقَّقَ في العالمِ الخارجيّ، لأسباب قد تكونَ ذاتيَّةً ناجمةً عن إرادة الإنسان التي تتَّجهُ نحو كتمانها، أو موضوعيَّةً ناجمةً عن ظروفٍ قاهرةٍ، وقد يتعرّض الإنسان غير القادر على التعبيرِ الحرّ عن عواطفه لأزمات نفسية وانفعالية، بالمقابل، إنَّ الإنسانَ عندما يُعبّرُ عن عواطفه بحرّية مطلقة من دون إخضاعها لمعايير العقل، فلا بدَّ في نهاية المطاف أن يُلحِقَ الأذيَّةَ بنفسهِ وبالآخرين. **و عليه، ينبغي على الإنسان أن يعبّر عن عواطفه بشكل حُرّ ومنسجم مع المعايير العقلية والأخلاقيَّة والاجتماعيَّة.**

الرَّغبـةُ:

لرغبة حالةٌ شعوريَّةٌ واعيةٌ يكونُ فيها الإنسانُ، في وضعٍ نفسيٍّ يستدعي تحقيقَ مَطْلَبٍ مُعيَّنٍ، **وتختلفُ الرَّغبةُ عن الشَّهوةِ** في أنّ الرَّغبةَ تكون موجَّهةً بوساطة الوعي، بينما تخضع الشَّهوةُ للانفعالاتِ الغريزيَّةِ.

ومع أنّ وعي الإنسان يتدخّل في توجيه رغباته، **إلاّ أنَّها كثيراً ما تتعلَّق بالأشياء الماديَّة الممتعة**، مثل المال والجاه والمِلْكيَّة... إلخ. **ولهذا نجد أناساً يقضون حياتهم في السعي وراء إحراز منافعَ ماديَّةٍ تلبي رغباتهم بحجّة أنّها تتعلَّقُ بحُريَّاتهم الشخصيَّة**، من دون أن يكترثوا بأن تكون تلبيةَ هذه الرَّغباتِ ليست على حساب الآخرين، وغير مضرّة بهم. وعليه، **لا يمكن أن تكون الرغبات حرّةً بلا قيود، فينبغي على الإنسان أن يُوجِّه رغباته بمقتضى معيارٍ قيميٍّ أساسيٍّ يميز بين الخيرِ والشرّ**، ومن ثمّ يربط رغبتهُ دائماً بقيمةِ الخير بحيث يختار ما هو مناسب وبصورة سليمة.

ومن هنا **نستنتج أنَّ العالم الداخليّ للإنسان غنيّ جداً، يتعرّف فيه حرّيتَهُ في جانبها الوجْداني، وهو يحقّق هذه الحريَّة بأعمق معانيها عندما يستند إلى إرادته التي يوجّهها وفقاً لمعايير العقل.**

الحرية والمجتمع

- من الحرية الطبيعية إلى الحرية المدنية : عندما كان الإنسان في الحالة الطبيعية البدائية كان يستطيع فعل ما يريد دون خضوع لقانون لكن عندما ظهرت التنظيمات الاجتماعية لم يعد قادر على العيش وحيد كان لابد من أن يتنازل عن جزء من حريته مقابل انتمائه لمجتمع يشبع له حاجاته وهذه هي الحرية المدنية الخاضعة لقوانين وأنظمة ودفاع الإنسان فيها عن حريته هو دفاع عن حرية الجماعة بوصفة عضو فيها ينال حقوقه منها ويلتزم بأداء واجباته نحوها

الحرية والقانون :

- **القانون هو الذي يساعد على القضاء على حالات العنف والتعدي الناشئ عن تعارض سلوك الأفراد** عند ممارسة حريتهم بالشكل الطبيعي ولكنه لا يصدر الحرية بل ينظمها ويحد من جموحها من خلال : 1- يفرض وجود القانون **مبدأ العدالة** في منح الحرية وتحديدها معاً لأن الإخلال بمبدأ الحرية وزيادة حرية فرد ما سوف يضر بحرية الأخرين بشكل لا تضر حريته بحرية باقي الأفراد (تنتهي حريتي عندما تبدأ حرية الآخرين)

2- يحقق وجود القانون **مبدأ المساواة** للجميع وممارسة حريته ضمن حدود القانون الناظم لسلوكهم

3- يستلزم كل من العدالة والمساواة **مبدأ مسؤولية كل إنسان عن أفعالة** لأن المسؤولية هي الإطار الذي يمنح للحرية إيجابياتها وفاعليتها من أجل تطوير الحياة الإنسانية

الالتزام بالقانون والخضوع له لا يتناقضان مع حق الإنسان في الحصول على حريته لأن القانون يبنى على أساس حق كل فرد في الحرية بالقدر نفسه الذي يضمن حرية الجميع

والانحراف عن مبدأ المسؤولية يؤدي للانحراف وتعارض السلوك مع الجماعة فالقانون هو الضامن لكل مساواة وهو بذلك لا يلغي الحرية بل يعيد تحديد ماهيتها

الحرية والدولة :

- الدولة هي الضابط لسلوك الأفراد وحمايته وسلامة ممتلكاتهم من خلال :

– متابعو تنفيذ وتطبيق القوانين والتشريعات

– توفر الدولة لمواطنيها المشاركة السياسية في شؤونهم العامة وتضمن حقوقهم حرية الاعلام والصحافة والتعبير عن الرأي (تحقق لأفرادها الأفق التي يمكن من ممارسة حريتهم وتحويل قيم نظرية إلى مجالات الفعل والتطبيق) لا يمكن تطبيق الحريات إلا في إطار الدولة لأنها الضامن الرئيس لحرية الجماعة بما لا يتعارض مع حرية كل فرد فيها

حرية الجماعة ليست مجموعا حسابيا للحريات الفردية : لأنها كيفية متمايزة عنها تسهم في تنظيم العيش المشترك بين الأفراد وتكفل ألا تتعارض حريتهم فيما بينهم

ضوابط الحرية وحدودها :

- الحرية هدف ومسعى لدى جميع الفلاسفة والأفراد لكن طرق تطبيقها هي الإشكالية لا يمكن تحويل الاتفاق النظري حول الحرية إلى اتفاق عملي في تطبيقها بسبب تباين إرادات الأفراد أولا وتباين ثقافتهم وشروط حياتهم الاجتماعية ومن هنا لا بد من وجود ضوابط لها وتحديد العوامل الرئيسة التي تؤدي إلى اختلاف المجتمعات وتباينها ومن العوامل موضوع الخلاف هي :

- **1- العامل الأخلاقي :** حيث قيم كل جماعة تجعل الحرية تختلف من جماعة لأخرى
- **2- العامل الديني :** تختلف الأديان من خلال الأوامر والنواهي التي تفرضها
- **3 – العامل الثقافي :** اختلاف الثقافة يؤدي لاختلاف الوعي العام ومنه أنماط السلوك والقيم في المجتمعات من حيث الهامش التي تعطيه لأفرادها المرأة في بعض المجتمعات لا تعمل شيء ولا يحق له الانتخاب والعمل
- وبذلك لا يمكن ممارسة الحرية بشكل مطلق لأنه لا يمكن فصل الحرية عن باقي القيم الإنسانية الأخرى مثل الحق والخير

الحرية خاصية تتميّز بها إرادة جميع الكائنات العاقلة

- - لا يكفي ، لسبب من الأسباب ، أن ننسب الحرية إلى إرادتنا ، إذا لم يكن لدينا سبب كاف يجعلنا ننسبها كذلك إلى جميع الكائنات العاقلة . إذ إنه لما كانت الأخلاقية لا تصلح قانوناً لنا إلا من حيث إننا كائنات عاقلة ، فينبغي لها كذلك أن تكون صالحة لجميع الكائنات العاقلة ، ولما كان من الواجب أن تستمد من خاصية الحرية وحدها ، فإنّ من الواجب كذلك أن نثبت أنّ الحرية خاصية تتصف بها إرادة جميع الكائنات العاقلة ،وليس يكفي أن نبرهن عليها باللجوء إلى بعض التجارب المزعومة للطبيعة الإنسانية

(فهذا أمر يتعذر في الواقع تعذراً تاماً و لا سبيل إلى البرهنة عليه إلا بطريقة قبلية) ، بل ينبغي أن نثبت أنها تتصل بوجه عام بفاعلية الكائنات العاقلة التي وهبت الإرادة .

2- أقول إذن : إن كل كائن لا يمكنه أن يفعل فعلاً إلا تحت تأثير فكرة الحرية ، فهو من وجهة النظر العملية كائن حر حقاً ، أي أنّ جميع القوانين المرتبطة بالحرية ارتباطاً لا ينفصم تصلح للانطباق عليه تماماً كما لو أن إرادته في ذاتها ولأسباب تقرها الفلسفة النظرية قد اعترف بحريتها اعترافاً صحيحاً .

- 3- والآن أذهب إلى أنّه ينبغي علينا بالضرورة أن نضيف فكرة الحرية إلى كل كائن عاقل ذي إرادة ، وهي الفكرة التي لا يستطيع أن يقدم على فعل من الأفعال إلا إذا كان واقعاً تحت تأثيرها . ذلك لأننا نتصور في مثل هذا الكائن عقلاً عملياً أي عقلاً يملك العلية بالقياس على موضوعاته . ولكن من المستحيل أن نتصور عقلاً وهو في تمام وعيه توجيهات أحكامه من الخارج ، لأن الذات لن ترجع في هذه الحالة تحيد ملكة الحكم فيها إلى عقلها بل إلى دافع من الدوافع .

4- يجب أن يعد العقل نفسه مصدر مبادئه ، مستقلاً في ذلك عن التأثيرات الغريبة عنه ، كما يجب عليه تبعاً لذلك ، بوصفه عقلاً عملياً أو إرادة كائن عاقل ، أن يعد نفسه حراً ؛ إنّ إرادة الكائن العاقل لا يمكن أن تكون إرادة ذاتية إلا بالقياس إلى فكرة الحرية ، وهكذا ينبغي لمثل هذه الإرادة ، من وجهة النظر العملية ، أن تضاف إلى جميع الكائنات العاقلة .

التوضيحات :

- هذا النص مأخوذ من كتاب كانط ، تأسيس ميتا فيزيقا الأخلاق ، ترجمة وتقديم : عبد الغفار مكاوي ، راجع الترجمة : عبد الرحمن بدوي ، منشورات الجمل ، كولونيا – ألمانيا ، 2002 ، ص: 149-150

أمانويل كانط (1724 - 1804) فيلسوف ألماني يُعدّ من أعظم فلاسفة العصر الحديث ، ومؤسس الفلسفة النقدية ، من أهم مؤلفاته : نقد العقل المحض ، نقد العقل العملي ، الدّين في حدود العقل وحده

ملكة الحكم : تعني القدرة في الشخص التي بها يحكم على الأشياء أو يقومها ويميّز بوساطتها الصواب من الخطأ والحق من الباطل .

اقرأ النص قراءة متأنية صامتة ثم أجب عن الأسئلة الآتية :

1- حدد المصطلحات الجديدة الواردة في النص .

- 2- استنتج الإشكالية الرئيسة في النص .
- 3- لخّص الأفكار الفرعية الواردة في النص .
- 4- لماذا لا تصلح الأخلاقية لنا إلا من حيث إننا كائنات عاقلة ؟
- 5- فسّر قول كانط : " ينبغي علينا بالضرورة أن نضيف فكرة الحريّة إلى كل كائن عاقل ذي إرادة "
- 6- ماذا يعني أن يكون العقل العملي عقلاً يملك العلّية بالقياس إلى موضوعاته ؟.
- 7- اقترح عنواناً آخر للنّص .

1- حدد المصطلحات الجديدة الواردة في النص .

المزعومة : المفترضة
قبلية : سابقة للتجربة

- فاعلية : نشاط سلوك
العملية : الواقعية
- لا ينفصم : لا انفصال فيه
الانطباق عليه تماماً : التطابق معه كاملاً
- تقرها: تقبلها
الفلسفة النظرية : الفلسفة الفكرية
العقل نفسه مصدر مبادئه : مبادئ العقل هو نفسه مصدرها
- بالقياس على موضوعاته : فيما يتعلّق بما يتداوله من أفكار
العلّية : السببية
إرادة ذاتية : إرادة نابعة من الذات

استنتج الإشكالية الرئيسة في النص .

- طبيعة العلاقة بين الحرية والعقل ؟
- الإرادة والعقل وتوجيهما لحرية الإنسان ؟

3- لخّص الأفكار الفرعية الواردة في النص .

تتصف الأفعال بالحرية عندما تكون صادرة عن كائنات عاقلة .

الحرية ميزة للكائنات العاقلة العاملة وفق الإرادة

- يستمد الكائن الحر فعله من فكرة الحرية عملياً .
  يكون الكائن حراً إذا انطبقت عليه قوانين الحرية وعمل بمقتضاها بإرادته.
- لا تصلح مبادئ الأخلاق إلا إذا كانت حرة صادرة عن إرادة الكائن العاقل .
- يؤكد كانط أن الحرية هي صفة إرادة الكائن العاقل .

العاقل لا يمكن أن توجه أحكامه عوامل خارجية وإلا كانت صادرة عن الدوافع .
لا يُعتبر العقل مستقلاً إلا إذا كان هذا العقل نفسه مصدر مبادئه وأفعاله ،وكان حراً .

4- لماذا لا تصلح الأخلاقية لنا إلا من حيث إننا كائنات عاقلة ؟

- لأن القيم الأخلاقية قانون كلي يقوم على العقل والإرادة الحرة ، لا يمكن أن تدركه إلا الكائنات العاقلة .

5- فسّر قول كانط : " ينبغي علينا بالضرورة أن نضيف فكرة الحريّة إلى كل كائن عاقل ذي إرادة " .

- إنّ امتلاك الإنسان العقل والإرادة هو الذي يجعله يمتلك الحرية ، فالعقل والإرادة هما شرطا وجود الحرية .

6- ماذا يعني أن يكون العقل العملي عقلاً يملك العلّية بالقياس إلى موضوعاته ؟.

- أن الأعمال لا تُنسب للعقل إلا إذا عرف صاحبها أسبابها وأهدافها وغاياتها

7- اقترح عنواناً آخر للنّص .

- العقل والحرية
- من هو الكائن الحر
- الإرادة والعقل وعلاقتهما بالحرية
- العقل مصدر الإرادة والحرية .